

بناء علم اللاهوت النظامي

الافتراضات في علم اللاهوت النظامي

الدرس
الثالث



خدمات الألفية

الثالثة

تعليمٌ كتابيٌّ. للعالم. مجاناً.

حقوق الطبع محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل أو وسيلة أو بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:
Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندريك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة 1997، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرّسة لتقديم **تعليماً كتابياً. للعالم. مجاناً.** تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريب مسيحيّ للقادة يستند إلى الكتاب المقدّس، ننتج منهاجاً لاهوتياً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائل إعلامية متعددة في خمس لغات رئيسية وهي (الإنجليزية، والإسبانية، والروسية، والماندرين الصينية، والعربية). ونورّع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليدية، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتَب كل الدروس وتُصمّم وتُنْتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعية لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعّالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحتنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدَم منهاجنا اليوم في ١٥٠ دولة. وتُنتج مواد الألفية الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائية وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيوني.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

<http://arabic.thirdmill.org>

المحتويات

I . المقدمة

II . التوجه

أ. التعريف

١. دلالية

٢. واقعية

٣. لاهوتية

٤. مباشرة

ب. الشرعية

1. الغموض الإلهي

2. العقلانية العلمية الحديثة

ج. المكانة

III . التشكيل

أ. التفاعلات الفلسفية

ب. تفسير الكتاب المقدس

١. التحديات

٢. تقليص الحقائق

٣. جمع الحقائق

IV . القيم والأخطار

أ. الحياة المسيحية

1. التعزيزات

2. المعوقات

ب. التفاعلات في المجتمع

1. التعزيزات

2. المعوقات

ج. التفسير النصي للكتاب المقدس

1. التعزيزات

2. المعوقات

V . الخاتمة

بناء علم اللاهوت النظامي

الدرس الثالث

الافتراضات في علم اللاهوت النظامي

المقدمة

يحاول المحامون في المحاكم في كل أنحاء العالم، أن يُقنعوا القاضي أو هيئة المحلفين بوجهة نظرهم. فإن العامل الحاسم في تقديم حججهم هو أن يفهم كل شخص الحقائق الأساسية المتعلقة بالقضية. وهكذا، غالباً ما يراجع المحامون حقائق القضية في نهاية المحاكمة، ويعرضونها في سلسلة من الافتراضات بأبسط طريقة ممكنة. "هذه حقيقة. وتلك حقيقة. هذا الأمر حدث. وذلك الأمر حدث".

في الواقع، ينطبق نفس الأمر على علم اللاهوت النظامي. فعلى علماء علم اللاهوت النظامي أن ينشئوا حقائق معينة، حقائق لاهوتية معينة. وهكذا، فإنهم يقدمون قضاياهم في صيغة افتراضات لاهوتية مباشرة.

هذا هو الدرس الثالث في سلسلتنا "بناء علم اللاهوت النظامي"، وأعطينا هذا الدرس عنوان: "الافتراضات في علم اللاهوت النظامي". إن علماء علم اللاهوت النظامي التقليديون ملتزمين باستكشاف وشرح اللاهوت المسيحي الجيد والدفاع عنه. وكما سنرى في هذا الدرس، فإن جزءاً أساسياً من هذا الالتزام هو التعبير عن العقائد المسيحية في افتراضات لاهوتية.

سوف ينقسم درسنا إلى ثلاثة أجزاء رئيسية. أولاً، سوف نكتسب توجهاً عاماً نحو الافتراضات في علم اللاهوت النظامي. ما هي هذه الافتراضات؟ وما هو موقعها في عملية بناء علم اللاهوت النظامي؟ ثانياً، سوف نستكشف كيفية تشكيل الافتراضات في علم اللاهوت النظامي. وثالثاً، سوف نتفحص بعض قيم وأخطار هذا التركيز على الافتراضات.

دعونا نبدأ بتركيز انتباهنا على بعض الاعتبارات الأولية، أي التوجه العام نحو هذا الجانب من بناء علم اللاهوت النظامي.

التوجه

سوف يشتمل توجهنا نحو الافتراضات في علم اللاهوت النظامي على ثلاث مسائل. أولاً، سنقدم تعريفاً عاماً للافتراضات. ثانياً، سوف نركز على شرعيتها. وثالثاً، سوف نصف مكانة

الافتراضات اللاهوتية. ما هو الدور الذي تقوم به في عملية بناء علم اللاهوت النظامي بأكملها؟ دعونا ننظر أولاً على تعريفنا للافتراضات اللاهوتية.

التعريف

أعتقد أنّ معظمنا يشعر بأنه يمكن التعبير عن اللاهوت بطرقٍ متعددة. فعندما نصلي، نزم الترانيم، نركز بالإنجيل، نروي قصص الكتاب المقدس لأولادنا، أو نناقش إيماننا مع أصدقائنا، فإننا نعبر عن اللاهوت المسيحي. لكن بالنسبة لعلم اللاهوت النظامي، توجد طريقة رئيسية واحدة للتعبير عن اللاهوت، وهي الافتراضات اللاهوتية. ومن أجل أهدافنا، سوف نعرّف الافتراضات بهذه الطريقة:

الافتراض اللاهوتي هو جملة دلالية تؤكد، وبطريقة مباشرة قدر المستطاع، ادعاءً لاهوتياً واقعياً واحداً على الأقل.

قبل أن ننظر إلى تفاصيل هذا التعريف، دعونا نلقي نظرة على بعض الأمثلة لما نعنيه. كتب وليم شيد هاتين العبارتين عن طاعة المسيح المؤلفة من قسمين، في المجلد الثاني، الجزء 2، الفصل 2 من كتاب "اللاهوت العقائدي":

هناك تمييز بين طاعة المسيح الفاعلة وغير الفاعلة. وتشير الأخيرة إلى معاناة المسيح بكل أنواعها... وطاعة المسيح الفاعلة هي تطبيقه الكامل للشريعة الأخلاقية.

نرى هنا أن "شيد" صنع ثلاثة تأكيدات. أولاً، أدلى بعبارة عامة تقول بأنه يمكن تصنيف طاعة المسيح إلى فئتين: الفاعلة وغير الفاعلة. ثانياً، كانت طاعة المسيح غير الفاعلة باحتماله للمعاناة. وثالثاً، كانت طاعة المسيح الفاعلة بتطبيقه الصحيح لشريعة الله الأخلاقية. إذا تذكرنا دروسنا السابقة، يمكننا أن نرى أن "شيد" ركّز على مصطلحين لاهوتيين تقنيين: "الطاعة غير الفاعلة" و "الطاعة الفاعلة"، لكننا مهتمون في هذا الدرس، بشكل أكبر بالطريقة التي

يُدمج بواسطتها لاهوتيين مثل "شيد" المصطلحات التقنية في الافتراضات اللاهوتية. وحتى نستكشف هذه المسألة، دعونا ننظر مرة أخرى إلى تعريفنا:

الافتراض اللاهوتي هو جملة دلالية تؤكد، وبطريقة مباشرة قدر المستطاع، ادعاءً لاهوتياً واقعياً واحداً على الأقل.

يركز هذا التعريف على أربع صفات للافتراضات في علم اللاهوت النظامي. أولاً، إنها "جُمْل دلالية". ثانياً، إنها ادعاءات واقعية. ثالثاً، إن هذه الادعاءات الواقعية لاهوتية بطبيعتها بشكل أساسي. ورابعاً، أنها تصنع ادعاءات لاهوتية واقعية مباشرة، أو كما نقول عنها أنها تعبّر عن الأمور "بطريقة مباشرة قدر المستطاع".

دعونا نلقي نظرة على كل جانب من هذا التعريف، مبتدئين بفكرة إن الافتراضات اللاهوتية هي جُمْل دلالية.

دلالية

كلنا يعلم أن هناك أنواعاً مختلفة من الجمل في لغة الإنسان العادية. على سبيل المثال، إن جملة "أين مفتاحي؟" هي جملة استفهامية، أي أنها سؤال. وجملة "افتح الباب" هي جملة في صيغة الأمر، لأنها تصدر أمراً أو دعوة. إن هاتين الجملتين غير مؤهلتين لتكونا افتراضاً. لكن الجملة "سيفتح مفتاحي الباب" هي جملة دلالية تعلن ما سيفعله المفتاح.

علينا أن ندرك بوضوح أنه عندما يقدم علماء علم اللاهوت النظامي وجهات نظرهم، فإنهم يستخدمون جميع أنواع المصطلحات، لكن في الوقت ذاته إن أسلوب التعبير السائد في علم اللاهوت النظامي هو الجمل الدلالية المباشرة. إن هذا الأسلوب في التعبير سائدٌ لدرجة أنه من المستحيل كتابة علم لاهوت نظامي تقليدي بأية طريقة أخرى.

بالإضافة إلى إدراك أن الافتراضات هي في صيغة جُمْل دلالية، فمن المهم أن نرى أنها مُصمّمة لتؤكد ادعاءات واقعية.

واقعية

إن الافتراضات تحدّد وتصف الحقائق. لاحظ الفلاسفة، اللاهوتيون، واللغويون عبر آلاف السنين، أن أنواعاً مختلفة من الافتراضات تصنع أنواعاً مختلفة من الادعاءات الواقعية. إن هذه الأمور معقّدة جداً حتى نتعامل معها بشكلٍ شامل. ومع وجود المخاطرة في تبسيط المسائل بشكل مفرط، فإننا سنذكر جانبين من الافتراضات التي ينبغي تذكرها عندما نستكشف علم اللاهوت النظامي.

وتماشياً مع الخطوط الخارجية للمناقشات المتأصلة في كتابات أرسطو عن علم المنطق، سوف نشير إلى أنه يمكن تمييز الافتراضات بحسب أولاً كميتها، وثانياً خاصيتها.

أولاً، يمكن وصف الافتراضات بالنسبة لكمية موضوعها. حيث يحتوي موضوع الافتراضات العامة على كل عنصر من عناصر مجموعة ما دون استثناء. مثال على ذلك، تدّعي جملة "أن لكل الثدييات شعر" أن هناك حقيقة تنطبق على كل الثدييات.

وبالطريقة ذاتها، غالباً ما يقدم علماء علم اللاهوت النظامي ادعاءات عامة في اللاهوت. ومن المعتاد أن يقول علماء علم اللاهوت المسيحيون أشياء مثل: "إن كل الكائنات البشرية هي على صورة الله" أو "إن كل العطايا الصالحة هي من الله".

ومن ناحية أخرى، إن بعض الافتراضات "محددة" لأن مواضيعها تحتوي على بعض العناصر من المجموعة الأكبر فقط. مثال على ذلك، إذا قلت: "إن هذا البيت هو بيتي"، فأنا أصنع ادعاءً واقعياً محدداً وليس عاماً لأنني لا أقول شيئاً ينطبق على كل المنازل، إنما ينطبق على منزلي فقط.

ويصنع علماء علم اللاهوت النظامي ادعاءات واقعية محددة بشكل متكرر أيضاً. فقد يقولوا على سبيل المثال: "إن بعض أعضاء الكنيسة غير مؤمنين" أو قد يدّعون بأن "بولس كان رسولاً".

ويحاول علماء علم اللاهوت النظامي في معظم الأحيان تصنيف الكميات بأكثر دقة ممكنة. وقد يكونوا دقيقين أكثر من الآيات المحددة في الكتاب المقدس أحياناً. ولكنهم يختصرون، من وقت إلى آخر، المسائل في شكل تعميمات دون أن يذكروا الاستثناءات. مثال على ذلك، سيكون من المألوف لعالم اللاهوت النظامي أن يقول: "إن كل الكائنات البشرية خاطئة". يبدو هذا الافتراض العام صحيح للوهلة الأولى، لكن هذه العبارة ليست دقيقة كما يمكن أن تكون. في الواقع، يعلم الكتاب المقدس أن يسوع كان إنساناً، لكنه كان باراً. إذاً، علينا أن نتوقف ونتساءل، من وقت لآخر،

فيما إذا كان علماء علم اللاهوت النظامي يدعون، في أية لحظة، شيئاً ما عن جميع أو فقط عن جزء من أصناف الأشياء التي يصفونها.

ثانياً، بالإضافة إلى الكمية، يمكن تمييز الافتراضات بحسب خاصيتها. أي أنه يمكن تصنيفها كتأكيدات إيجابية أو سلبية. فمن ناحية، تعلن الافتراضات الإيجابية أن شيئاً ما حقيقي بطريقة إيجابية. فقد نقول في محادثتنا اليومية عبارات مثل: "إن هذا الكلب ملكي". إن هذه العبارة خاصة وإيجابية. إنها تؤكد أن كلباً محدداً هو أحد الأشياء الكثيرة التي أمتلكها. وفي علم اللاهوت النظامي، إن افتراضاً مثل: "تحدث بعض الفقرات الكتابية عن التقديس" هو أيضاً افتراضاً إيجابياً محدداً لأنه يعلن أن بعض الفقرات الكتابية على الأقل يندرج ضمن هذه الفئة.

وقد تحتوي عبارة عامة وإيجابية في الحياة العادية على كلمات مثل: "إن كل الأشياء التي خسرتها هي هامة بالنسبة لي". لأنها تعلن بشكل إيجابي أن كل شيء خسرت هو على الأقل جزء مما هو هام بالنسبة لي. وغالباً ما يصنع علماء علم اللاهوت النظامي عبارات مشابهة في مجال دراستهم. تأمل على سبيل المثال في عبارة: "كل ما خلق، خلق من قبل الله". يؤكد هذا الافتراض أن كل ما خلق هو ضمن مجموعة الأشياء التي خلقها الله.

ومن ناحية ثانية، يمكن أن تكون للافتراضات صفة سلبية، وقد تكون عامة أو محددة. مثال على ذلك، عندما أقول: "هذا البيت ليس بيتي"، فإنني أعلن افتراضاً محدداً سلبي. وإذا أردت أن أصنع افتراضاً عاماً وسلبي، فقد أقول عبارة مثل: "لا أحد في هذه الغرفة يتكلم الإنجليزية". كما وتظهر الادعاءات السلبية في علم اللاهوت النظامي أيضاً. مثال على ذلك، إن عبارة "لم يكن يسوع خاطئاً" هي افتراض محدد وسلبي. إنها تنفي شيئاً عن الشخص الذي هو يسوع. كما أننا نجد أيضاً افتراضات عامة وسلبية في اللاهوت، مثل عبارة: "لا يمكن لكل إنسان غير مؤمن أن يحصل على الخلاص". أي لن يتم تضمين غير المؤمنين المصيرين على عدم الإيمان، مع أولئك الذين سينالون الخلاص.

إن الاحتفاظ بهذه الفروق في الكمية والخاصية مهم جداً في دراسة علم اللاهوت النظامي. لأن الخلط بينها قد يؤدي إلى كل أنواع سوء الفهم لما يدعيه علماء اللاهوت. علينا أن ننقل الآن إلى البعد الثالث في تعريفنا: إن الافتراضات اللاهوتية تصنع ادعاءات لاهوتية.

لاهوتية

وكما قلنا في تعريفنا، لا تصنع الافتراضات اللاهوتية ادعاءات واقعية فحسب إلا أنها تصنع ادعاءات لاهوتية واقعية. وصحيح أن علماء علم اللاهوت النظامي يشيرون إلى حقائق التاريخ والمفاهيم الفلسفية التي لا تتناسب كثيراً مع اللاهوت. لكن موضوعهم الرئيسي هو اللاهوت. وحتى نفهم ما نعنيه بـ "الحقائق اللاهوتية"، علينا أن نتذكر أن اللاهوت موضوع واسع نوعاً ما. ستذكرون أن توما الأكويني عرّف اللاهوت بأن له اهتمامين رئيسيين. ففي الكتاب الأول، الفصل الأول، والجزء السابع من كتابه الخلاصة اللاهوتية، أطلق الأكويني على اللاهوت لقب "العقيدة المقدسة" وعرّفه كالتالي:

علم مُوحّد يتم التعامل فيه مع كل الأشياء تحت عنوان الله، إمّا لأنها الله أو لأنها تشير إليه.

تعكس كلمات توما الأكويني تمييزاً عاماً في علم اللاهوت النظامي بين "اللاهوت الصحيح"، الذي هو دراسة الله نفسه، واللاهوت العام الذي هو دراسة المواضيع الأخرى من حيث صلتها بالله. وبالتوافق مع هذا التمييز العام، يركز علم اللاهوت النظامي على كل من هذين المستويين من اللاهوت. فمن ناحية، يركز علماء علم اللاهوت النظامي على اللاهوت الصحيح بصياغة عبارات تُعنى بالله بشكل مباشر، فيقولوا أشياء مثل: "إن الله قدوس" أو "خلق الله العالم". لكن من الناحية الأخرى، يهتم علماء علم اللاهوت النظامي باللاهوت العام بشكل موسّع، وبالادعاءات حول جوانب الخليقة من حيث صلتها بالله. أما بالنسبة للخلاص، فهم يقولون أشياء مثل "إن الخلاص هو بنعمة الله". وبالنسبة لحالة البشرية، فإنهم غالباً ما يقولون أشياء مثل "إن كل الناس الذين يعيشون اليوم خطاة". بهذا المعنى، تعالج الافتراضات اللاهوتية مواضيع أكثر من موضوع الله نفسه، لكن دائماً في سياق علاقة هذه المواضيع بالله، بشكل ضمنى على الأقل. رابعاً، من المهم أن نشير إلى أن علماء علم اللاهوت النظامي يسعون للتعبير عن آرائهم مع الاهتمام الزائد بكونهم مباشرين وصريحين.

مباشرة

وبالطبع، نحن ندرك أنه لا يمكننا وصف أي شيء، وبالتأكيد ليس من الله، على أنه كامل بشكل مطلق. لكن في الوقت نفسه، يسعى علماء علم اللاهوت النظامي جاهدين حتى يكونوا صريحين قدر المستطاع عندما يشكلون افتراضات لاهوتية.

سيكون من غير المعتاد لعالم علم اللاهوت النظامي أن يقول: "إن الرب راعٍ" ويتركها عند هذا. إن هذه العبارة صحيحة بالنسبة للكتاب المقدس، لكن يميل علماء علم اللاهوت النظامي إلى تجنب الطرق غير المباشرة في استخدام أشياء مثل الاستعارات والأشكال الأخرى للكلام. وهكذا، وبدلاً من قول "إن الرب راعٍ"، يميل علماء علم اللاهوت النظامي إلى إعادة صياغة العبارة بطريقة مباشرة أكثر وذلك بقول شيء مثل "يقدم الله رعاية إلهية خاصة لشعبه". إنهم يودون التعبير عن أنفسهم بافتراضات واضحة، مباشرة ونثرية قدر المستطاع.

خلاصة القول، علينا أن نضع في اعتبارنا أننا نركز على نوع معين من التعبير الذي يسود علم اللاهوت النظامي. ولأهدافنا الخاصة، يمكننا أن نفكر بالمصطلحات اللاهوتية كجمل دلالية تؤكد، وبطريقة مباشرة قدر المستطاع، ادعاءً لاهوتياً واقعياً واحداً على الأقل.

بعد أن ناقشنا التعريف، علينا أن ننقل إلى ناحية ثانية في توجهنا العام لهذا الموضوع: ما هو التبرير لبناء علم اللاهوت باستخدام الافتراضات؟ ما الذي يجعل هذه العملية شرعية؟

الشرعية

غالباً ما عبّر المسيحيون، عبر تاريخ الكنيسة، عن إيمانهم في صيغة عبارات مباشرة. اصغ مثلاً إلى مقدمة قانون الإيمان النيقاوي في القرن الرابع:

أؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، وكل ما يُرى وما لا يُرى.

ويضع قانون الإيمان النيقاوي أيضاً قائمة بعدد من الافتراضات اللاهوتية الهامة جداً. وقد صادق المسيحيون على قانون الإيمان هذا وعلى قوانين الإيمان المشابهة عبر القرون.

وفي الوقت ذاته، وعلى مر التاريخ، كان هناك أولئك الذين شككوا في شرعية استخدام الافتراضات اللاهوتية. ولأجل أهدافنا، سوف نذكر اثنين من الاعتراضات الرئيسية التي أثيرت. أولاً، التحديات التي نشأت من عقيدة الغموض الإلهي. وثانياً، تحديات العقلانية العلمية الحديثة. لنناقش أولاً، كيف أثارت عقيدة الغموض الإلهي الأسئلة.

الغموض الإلهي

كلنا على علم بالكلمات الشهيرة في إشعياء 55: 8-9، والتي تشكل أساساً لهذه العقيدة:

لأنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارِكُمْ وَلَا طُرُقُكُمْ طُرُقِي يَقُولُ الرَّبُّ. لِأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ
عَنِ الْأَرْضِ هَكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنِ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنِ أَفْكَارِكُمْ. (إشعياء 55: 8-9)

للأسف، تمّ استخدام هذه الفقرات وفقرات أخرى مشابهة، في العديد من الأوساط، لدعم الفكرة القائلة أنّ الله بعيد جداً عن قدراتنا العقلية لدرجة أنه لا يمكننا وصفه. وبحسب هذه النظرة، إن قلنا إن الله محبة فإننا نحاول التحدث عن شيء لا يمكننا وصفه حقيقةً. وإذا قلنا إن يسوع هو الطريق الوحيد للخلاص، فإننا نحدّ من عمل الله بدون تبرير. لقد اتخذ هذا النوع من التفكير أشكالاً متعددة عبر التاريخ. مثال على ذلك، جادل العديد من اللاهوتيين بأن الطريقة الوحيدة لذكر شيء ما عن الله هو أن نتبع *via negativa* - أي طريقة النفي. وبحسب هذه النظرة، لا يمكننا إطلاق عبارة إيجابية عن الله. يمكننا أن ننفي أشياء محددة عنه بمقارنته مع الخليفة. يمكننا قول أشياء مثل: "إن الله غير محدود بالمكان"، "إن الله غير محدود بالزمن"، "إن الله غير ملموس". وقد جادل العديد من اللاهوتيين المشككين اللادريين، أي الذين يعتقدون أن لا دليل على وجود الله إلا أنهم لا ينكرون وجوده، جادلوا بأننا، وبكل بساطة، عاجزين عن وصف الله أو الأشياء المتعلقة به بطريقة إيجابية.

وعلى النقيض من وجهات النظر المضلّلة هذه، يجب علينا كأتباع المسيح أن نقيم شرعية الافتراضات اللاهوتية بواسطة شهادة الكتاب المقدس. يتبع علماء علم اللاهوت النظامي التقليديون الكتاب المقدس بالتحدث عن الغموض الإلهي إلى جانب حقيقة أنه يمكن معرفة الله عندما يعلن

نفسه. من ناحية، لا يمكننا معرفة الله بكل معنى الكلمة، لكن من الناحية الأخرى يمكننا أن نعرفه جزئياً عندما يعلن نفسه لنا، ولا تزال هذه المعرفة الجزئية عن الله معرفة حقيقية. توضّح فقرة في الكتاب المقدس هذا الفرق وهي تثنية 29: 29. حيث لخص موسى هذا الأمر لشعب إسرائيل بهذه الطريقة.

السَّرَائِرُ لِلرَّبِّ إِلَهِنَا وَالْمُعَلَّنَاتُ لَنَا وَلِبَنِينَا إِلَى الْأَبَدِ لِنَعْمَلَ بِجَمِيعِ كَلِمَاتِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ. (تثنية 29: 29)

لاحظ أن هناك فئتين من الأشياء حسب هذه النظرة. من ناحية، تحدّث موسى عن "السرائر". وهي أمور لا يعلنها الله للبشرية، أي المعرفة التي يحتفظ بها لنفسه. في الواقع، علينا أن نذكّر أنفسنا دائماً أن الأمور المخفية غير المُعلنة هي غير محدودة النطاق. ولاحظ في الوقت ذاته، أن موسى لم يقل إن الله يخفي الأسرار عنّا. إلا أنه قال إن بعض الأشياء "مُعلنة"، أي أن الله أعلنها بكلمته. وكما عبّر عنها موسى، فإن هذه المُعلّانات "لنا ولبنينا إلى الأبد". بعبارة أخرى، إن الله يتوقع منّا أن نؤمن ونقبل ما أعلنه لنا بكل قلوبنا. وتبيّن هذه الحقيقة أنه يحق لنا أن ندوّن ما أعلنه الله لنا. وبالإضافة إلى التحديات التي تنشأ من عقيدة الغموض الإلهي، فقد تمّ تحدي شرعية الافتراضات اللاهوتية من قبل العقلانية العلمية الحديثة.

العقلانية العلمية الحديثة

جادل العديد من مدارس الفكر في القرنين الماضيين، أي في قرون النزعة العلمية الحديثة، بأن اللاهوت علم مزوّر أو زائف. هذا يعني أنّ بإمكان علماء علم اللاهوت النظامي أن يدّعوا تدوين حقائق موضوعية، إلا أن هذا مجرد تظاهر. عندما نريد معرفة حقيقة أمر ما في العلوم الحديثة، فإننا نشكل النظريات ثم نُخضعها لاختبارات تجريبية لبرهان صحتها. وعندما تتجح نظرية في الاختبار التجريبي المباشر أو غير المباشر، فإننا نقبل بصحتها. لكن سرعان ما أشار العلماء إلى أنه لا يمكن اختبار الافتراضات اللاهوتية بهذه الطريقة. علينا أن نقرّ بأن هذا صحيح إلى درجة ما على الأقل.

وفي حين أنه يمكننا وضع سائل في أنبوب اختبار وتحليل خاصياته، لكن لا يستطيع أحد وضع الله في أنبوب اختبار لمعرفة فيما إذا كان ثالثاً. ومع أننا قادرون على استخدام الأدوات لحساب حجم الأشياء، لكن لا توجد أداة قادرة على قياس الله لمعرفة فيما إذا كان غير محدود. ولهذا السبب، جادل العديد من الأشخاص المعاصرين أن اللاهوتيين يشبهون الفنانين والشعراء الذين يصورون مشاعرهم، معرفتهم البديهية، وأحاسيسهم الدينية. إننا نخدع أنفسنا والآخرين عندما نتصرف كما لو أننا نصف حقائق موضوعية.

كن هناك وسيلة يمكننا أن نتحقق بواسطتها من الافتراضات اللاهوتية بشكل تجريبي. إن الأمر كله معتمد على ما نحسبه أدلة تجريبية لصالح أو ضد وجهات نظرنا.

كأتباع للمسيح، نحن ملتزمون باتباع معايير المصادقية في اللاهوت التي اتبعتها المسيح. كيف برهن يسوع إذاً على صحة ادعاءاته اللاهوتية؟ وكيف اختبر الافتراضات اللاهوتية للآخرين؟ وحتى يتأكد، اعتمد يسوع على الإعلان العام، أي إعلان الله في كل الأشياء. واعتمد يسوع أيضاً على إرشاد الروح القدس، تماماً كما ينبغي أن نعمل نحن في هذه الأيام. لكن يسوع علم أن الكتاب المقدس المعصوم عن الخطأ هو المصدر الأدلة الأكثر وضوحاً وسلطة لفحص وجهات النظر اللاهوتية. عندما أراد يسوع فحص الادعاءات اللاهوتية، كان يلجأ إلى الكتاب المقدس كمعياره التجريبي بشكل متكرر. مثال على ذلك، عندما تحدى يسوع رياء الفريسيين، في متى 15: 7، فقد فعل ذلك بالإشارة إلى الكتاب المقدس، حيث نقرأ هذه الكلمات:

يَا مُرَاوُونَ حَسَنًا تَتَّبِعُونَ إِشْعِيَاءَ. (متى 15: 7)

مع أن يسوع لم يضع الله في أنبوب اختبار، إلا أنه وضع الأفكار اللاهوتية تحت الاختبار. فقد قاس المقترحات اللاهوتية بتقييمها بدقة بالنسبة للمعايير التجريبية للكتاب المقدس. ينبغي علينا، كأتباع للمسيح، ألا نقبل الاتهام بأن اللاهوت يقدم أفكاراً عن الله بدون أية اختبارات تجريبية. إن ادعاءات علم اللاهوت النظامي، من وجهة النظر المسيحية، هي أكثر من مجرد التعبير عن المشاعر الدينية. إنها مبرهنة وغير مبرهنة بواسطة الاختبار التجريبي للكتاب المقدس.

بعد أن رأينا معنى الافتراضات اللاهوتية وكيف أنها تشكل طرقاً شرعية للتعبير عن الحقائق اللاهوتية، علينا أن ننتقل إلى القضية الثالثة وهي مكانة الافتراضات اللاهوتية في بناء علم اللاهوت النظامي.

المكانة

لقد رأينا، في دروس سابقة، أن علم اللاهوت النظامي البروتستانتي اتبع العديد من الأولويات التي طورها لاهوتيو العصور الوسطى بينما كانوا يتفاعلون مع فلسفة أرسطو. وكننتيجة لذلك، يتطلب بناء علم اللاهوت النظامي أربع خطوات رئيسية: تشكيل كلاً من المصطلحات التقنية؛ تشكيل الافتراضات؛ الجمل العقائدية؛ ونظام شامل للمعتقدات. وعلينا أن نتذكر أن التكلم بهذه الطريقة مُصطنع نوعاً ما. ففي الواقع، يشمل علماء علم اللاهوت النظامي أنفسهم بكل هذه الخطوات دائماً. لكن من أجل التوضيح، سيساعدنا أن نفكر بهذه العملية كالانتقال من أبسط عناصر هذا الجهد إلى أكثرها تعقيداً.

فعلى المستوى الأدنى، تشكل المصطلحات اللاهوتية التقنية الركائز الأساسية في علم اللاهوت النظامي. فبدون المصطلحات المُعرّفة بعناية، سيكون من الصعب بناء علم لاهوت نظامي جيد. والخطوة الثانية في العملية هي تشكيل الافتراضات. إذا اعتبرنا أن المصطلحات التقنية هي الركائز الأساسية في علم اللاهوت النظامي، عندها يحق لنا أن نفكر بالافتراضات كصفوف من الركائز التي تشرح وتوضح المصطلحات التقنية. وبيّنكر علماء علم اللاهوت النظامي صفوف الركائز هذه بصياغة تعبيرات عن الله والخليقة في علاقتها بالله. وإذا فكرنا بالافتراضات كصفوف من الركائز، يمكننا وصف الجمل العقائدية كأجزاء من الجدران أو جدران كاملة تمّ بناؤها من هذه الصفوف من الافتراضات. وأخيراً، يمثل نظام اللاهوت الطرق التي يبني اللاهوتيون بواسطتها بناء كاملاً من الجمل العقائدية. ويشير هذا التشبيه إلى المكانة الأساسية التي تحتلها الافتراضات في بناء علم اللاهوت النظامي - إنها صفوف من الركائز الموضوعية بعناية والتي تصبح جزء من البناء الكامل والذي يدعى علم اللاهوت النظامي.

لنأخذ على سبيل المثال عبارة "إن يسوع هو الأَفنوم الثاني في الثالوث". إن هذا الادعاء مبني باستخدام مصطلحين تقنيين: "الأَفنوم" و"الثالوث". لكن لا يترك هذا الافتراض هذين المصطلحين والمفاهيم المتعلقة بهما بدون ارتباط. بدلاً عن هذا، تمّ جمعهما سوية في ادعاء واقعي

مباشر عن يسوع. يستمر علماء علم اللاهوت النظامي من هذا الافتراض ومن افتراضات أخرى في تشكيل عقيدة الثالوث الكاملة. وتشكل عقيدة الثالوث جزءاً من عقيدة الله، والتي هي جدار في البناء، أي النظام الكامل للاهوت المسيحي.

من المهم أن نتذكر أنه عندما يناقش علماء علم اللاهوت النظامي اللاهوت أو يكتبوا عنه، فإنهم يستخدمون كل أنواع التقنيات البلاغية. فهم يقدمون أفكاراً ويدعمونها بالأدلة. كما أنهم يدعمون أفكار الآخرين ويفحصونها، يطرحون أسئلة بلاغية. يتبعون التطورات التاريخية للأفكار. ويكشفون الدوافع ويشيرون إلى النتائج الإيجابية والسلبية لوجهات النظر المختلفة. توجد مجموعة كبيرة من التقنيات البلاغية متوفرة لديهم. لكن الافتراضات اللاهوتية تدعم وتقوي كل التفسيرات، الحجج، الدفاعات والتقنيات المقنعة التي نجدها في علم اللاهوت النظامي. وهي تشكل جزءاً أساسياً في عملية بناء علم اللاهوت النظامي.

بعد أن اكتسبنا توجهاً عاماً نحو الافتراضات في علم اللاهوت النظامي، علينا أن ننتقل إلى موضوعنا الرئيسي الثاني: تشكيل الافتراضات اللاهوتية. كيف يشكل علماء علم اللاهوت النظامي الافتراضات التي يبنون بها لاهوتهم؟

التشكيل

إن العمليات التي يتبعها اللاهوتيون ذوو الخبرة عندما يبتكرون افتراضاتهم معقدة للغاية. وهكذا، بينما نستكشف كيف تتم صياغتها، علينا أن نتذكر أن مناقشتنا ستكون مصطنعة نوعاً ما. وحتى مع ذلك، سوف نُبرز بعضاً من الأبعاد الهامة لهذه العمليات، والتي ستساعدنا في بناء علم اللاهوت النظامي بمسؤولية أكبر.

سوف ننظر إلى اتجاهين أساسيين. أولاً، سوف نتعامل مع الافتراضات التي تنشأ من الطرق التي يتفاعل علماء علم اللاهوت النظامي من خلالها مع الفلسفة. وثانياً، سوف ننظر إلى الطرق التي يشكل بها علماء علم اللاهوت النظامي الافتراضات من الكتاب المقدس. دعونا نناقش أولاً حقيقة أن كثيراً من الافتراضات في علم اللاهوت النظامي ينشأ في الحقيقة من الفلسفة.

التفاعلات الفلسفية

سوف تذكر من دروس سابقة، كيف اعتقد العديد من اللاهوتيين المسيحيين، في فترة آباء الكنيسة، أن عدة جوانب من الأفلاطونية الجديدة مطابقة للكتاب المقدس. ولهذا، عبّروا عن معتقداتهم بتوجه نحو تلك الفلسفة. بينما اعتقد الغالبية العظمى من العلماء المسيحيين، في فترة العصور الوسطى، أن الفلسفة الأرسطورية مطابقة للكتاب المقدس بعدة طرق هامة. وهكذا، كان الكثير من الأشياء التي قالوها متأثر بالمنظور الأرسطوري. حتى في اللاهوت النظامي البروتستانتي، قدم العديد من الفلاسفات الحديثة توجهات هامة، سواء كان للأفضل أو للأسوأ. ونتيجة لذلك، نشأ العديد من الادعاءات التي تظهر في علم اللاهوت النظامي، من المناقشات الفلسفية. وعلينا أن نكون حذرين عندما نلاحظ أن العديد من الافتراضات ينشأ من جذور فلسفية كهذه، لأن الكتاب المقدس يحذرنا من الفلسفة ويشجعنا على استخدامها في الوقت ذاته. فمن ناحية، ينبغي أن نعطي الاهتمام لتحذيرات مثل رسالة كورنثوس الأولى 1: 20، حيث سخر الرسول بولس من الفلسفة غير المسيحية:

أَيْنَ الْحَكِيمِ. أَيْنَ الْكَاتِبِ. أَيْنَ مُبَاحِثِ هَذَا الدَّهْرِ. أَلَمْ يُجْهَلِ اللَّهُ حِكْمَةَ هَذَا الْعَالَمِ.
(1 كورنثوس 1: 20)

مهم جداً أن يتذكر اللاهوتيون المسيحيون التناقض الأساسي بين اللاهوت المسيحي والفلاسفات غير المسيحية. لكن في الوقت ذاته، أظهر بولس في أعمال الرسل 17: 27-28، استخداماً إيجابياً للتأمل الفلسفي بالافتباس من كلمات الشاعرين اليونانيين الفيلسفين كلينثس وأراتوس.

يَطْلُبُوا اللَّهَ... مَعَ أَنَّهُ عَنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيداً... كَمَا قَالَ بَعْضُ شُعْرَائِكُمْ أَيْضاً
لَأَنَّنَا أَيْضاً دُرَيْتُهُ. (أعمال الرسل 17: 27-28)

تبيّن لنا هذه الفقرة أنه بالرغم من ضرورة الحذر من المخاطر، لكن اللاهوتيين المسيحيين كانوا على حق في تفاعلهم مع الفلسفات المتعددة. وكانوا على حق أيضاً في إدراج ادعاءات لاهوتية حقيقية تنشأ من المناقشات الفلسفية، حتى مثلما فعل بولس عندما كان في أثينا. وبالرغم من أنه ينبغي علينا أن نكون مدركين لهذه الجذور الفلسفية، لكن يُعتبر الكتاب المقدس المصدر الأكثر أهمية للافتراضات اللاهوتية في علم اللاهوت النظامي حتى الآن. ولهذا السبب، علينا أن نولي انتباهاً خاصاً للطرق التي يشكل بها علماء علم اللاهوت النظامي ادعاءاتهم اللاهوتية مما يعلمه الكتاب المقدس.

تفسير الكتاب المقدس

وحتى نحقق هذا الهدف، سنركز أنظارنا على ثلاثة اتجاهات. أولاً، سوف نتأمل في التحديات التي تواجه علماء علم اللاهوت النظامي في هذا المجال. ثانياً، سوف نرى كيف يواجه علماء علم اللاهوت النظامي أحد جوانب هذه التحديات من خلال عملية سوف ندعوها "تقليص الحقائق". وثالثاً، سوف نستكشف كيف يواجه علماء علم اللاهوت النظامي جانباً آخر من هذه التحديات من خلال "جمع الحقائق". دعونا ننظر أولاً إلى التحديات التي تواجه علماء علم اللاهوت النظامي عندما يشكلون الافتراضات من الكتاب المقدس.

التحديات

عندما يبدأ طلاب اللاهوت بدراسة علم اللاهوت النظامي، غالباً ما يكون لديهم الانطباع بأن تشكيل الافتراضات اللاهوتية من الكتاب المقدس عملية بسيطة. إنهم يعتقدون أننا نحتاج فقط لقراءة الكتاب المقدس وتكرار ما يقوله. وقد يكون هذا الأمر صحيحاً في بعض الأحيان، لأن الكتاب المقدس يحتوي على بعض الافتراضات، لكن هناك تحديات كثيرة هامة أيضاً. فبالإضافة إلى آثار محدودة الإنسان والخطية، يقدم لنا الكتاب المقدس نفسه تحديين اثنين على الأقل في تشكيل الافتراضات اللاهوتية. وينشأ أحد هذين التحديين من التنوع الأدبي الذي نجده في الكتاب المقدس. بينما ينشأ الآخر من الترتيب العقائدي في الكتاب المقدس. تأمل أولاً الصعوبات التي تواجه علماء علم اللاهوت النظامي بسبب التنوع الأدبي للكتاب المقدس.

الكتاب المقدس ليس نفس الأسلوب الأدبي الذي يكرر المادة نفسها مرة تلو الأخرى. لكن يظهر عدد من الأنواع الأدبية في جميع أنحاء الكتاب المقدس وتتحد مع بعضها البعض بطرق لا تُحصى. يتضمن الكتاب المقدس مزيجاً من القصص، الشرائع، الشعر، النبوات، والرسائل - وهذا مزيج قليل مما يحتويه الكتاب المقدس. ويوجد ضمن كل نوع من هذه الأنواع الأدبية أنواع مختلفة من التعبيرات: العبارات، الأوامر، الأسئلة، الشكاوى، التشجيعات، الاستفهامات، البركات، الشواهد، القوائم، القوانين، العناوين، الإرشادات التقنية، الإيماءات- والقائمة طويلة. وإلى جانب هذه التنوعات توجد نماذج كلام لا حصر لها وأشكال أدبية دقيقة تعطي الكتاب المقدس نكهة بعدة طرق مختلفة. إن هذا التنوع الأدبي الكبير يعقد عملية تشكيل الافتراضات اللاهوتية.

تخيل للحظة لو أن الكتاب المقدس مجرد كتاب يحتوي على افتراضات مباشرة فقط، يسرد الحقائق اللاهوتية واحدة تلو الأخرى. إذا كان هذا هو الحال، لكان استخدام الكتاب المقدس في علم اللاهوت النظامي سهلاً نسبياً. لكن بالطبع، ليس الكتاب المقدس هكذا؛ إنه كتاب متنوع أدبياً. تخيلوا الآن لو مال علماء علم اللاهوت النظامي للتعبير عن لاهوتهم باستخدام تنوع أدبي كبير. وتخيّلوا لو كان لاهوتهم ممثلاً بالشعر، القصص، الأوامر، الرسائل، الشكاوى، نماذج الكلام وما شابه ذلك. لو كان الأمر كذلك، لتوافق عرض الكتاب المقدس مع علم اللاهوت النظامي بشكل جيد. لكن بالطبع، ليس هذا هو الحال أيضاً.

الحقيقة هي أن الكتاب المقدس متنوع أدبياً، لكن يعبر علماء علم اللاهوت النظامي عن تعاليم الكتاب المقدس بالافتراضات بشكلٍ حصري. في الواقع، يجب على علماء علم اللاهوت النظامي أن يحدوا كل أنواع الآداب التي يواجهونها في الكتاب المقدس في نوع واحد معين من التعبير. ويُعتبر هذا التباين أحد أكبر التحديات التي تواجه علماء علم اللاهوت النظامي.

إن التحدي الثاني الذي يقدمه الكتاب المقدس لعلماء علم اللاهوت النظامي، هو الطريقة التي يرتب بها أو لا يرتب عقائده. باختصار، لا يعالج الكتاب المقدس مواضيع محددة في شكل وحدات كاملة متميزة. إنما تتم معالجة نفس الموضوع في شكل أجزاء متناثرة هنا وهناك في جميع أنحاء الكتاب المقدس. وتتحدى خاصية الكتاب المقدس هذه علماء علم اللاهوت النظامي.

تخيل لو أن الكتاب المقدس مختلف من هذه الناحية. افترض أنه يعالج كل عقيدة على حدة وبشكل كامل. وافترض أنه يعالج موضوعاً ما بشكل منظم، ويناقشه بشكل شامل، ثم ينتقل إلى موضوع آخر. لو كان الأمر كذلك، لكان باستطاعة علماء علم اللاهوت النظامي قراءة كل جزء من

الكتاب المقدس، وتشكيل ادعائهم اللاهوتية بناء على كل جزء منه بسهولة. لكن بالطبع، ليست هذه هي الطريقة التي يعرض بها الكتاب المقدس مواضيعه اللاهوتية.

أو تخيل لو كان علماء علم اللاهوت النظامي أقل تنظيمًا، يتعاملون مع كل جانب صغير من الموضوع على حدا، وافترض أنهم يعالجون أجزاءً أخرى كثيرة من عقائد أخرى قبل أن يعالجوا جانباً صغيراً ثانياً من العقيدة الأولى. لو كانوا راضين بمعالجة قضية ما بأجزاء وقطع هنا وهناك، لكان التعامل مع الكتاب المقدس سهل نسبياً.

لكن بالطبع، ليس هذا ما يريد فعله علماء علم اللاهوت النظامي. إنهم يريدون تقديم تعاليم الكتاب المقدس بشكل كامل ومنظم قدر الإمكان. ونتيجة لذلك، عليهم أن يعملوا بجهد لجمع المعلومات من كل الأمكنة في الكتاب المقدس.

يتعامل الكتاب المقدس مع جوانب المواضيع اللاهوتية بطرق متعددة في أمكنة مختلفة. وتُعتبر هذه الميزة من عرض الكتاب المقدس للاهوت، بمثابة تحدٍّ كبير آخر لعلماء علم اللاهوت النظامي.

بعد أن رأينا اثنين من التحديات الرئيسية التي تواجه علماء علم اللاهوت النظامي عندما يتعاملون مع الكتاب المقدس، علينا أن نوجه انتباهنا إلى عملية تقليص الحقائق. هذه هي الاستراتيجية التي يتبعها علماء علم اللاهوت النظامي ليتغلبوا على تحدي التنوع الأدبي في الكتاب المقدس.

تقليص الحقائق

بعبارات بسيطة:

تقليص الحقائق هو عملية التركيز على الحقائق اللاهوتية التي تعلمها الفقرات الكتابية، وتهميش أبعاد أخرى من الفقرات ذاتها.

وكما هو الحال بالنسبة للغة البشرية بشكل عام، صُممت فقرات الكتاب المقدس ليكون لها تأثيرات متعددة على قرائها. حيث أنها قدمت المعلومات، ألهمت، اتهمت، حفزت، وجهت، شجعت، أحبطت، أبهجت، عقدت، صححت، دربت، سهلت، باركت، لعنت، أثارت المخيلة وهكذا. ولم تُصمم

كل فقرات الكتاب المقدس لتقوم بكل هذه الأشياء كل الوقت وبالتأكيد ليس بقوة متساوية. لكن تم تصميم كل فقرة كتابية بطول مميز ليكون لها تأثيرات متنوعة.

لكن يركز علماء علم اللاهوت النظامي انتباههم بشكل أساسي، هذا إن لم يكن بشكل حصري، على الحقائق اللاهوتية التي يعلمها الكتاب المقدس. بعبارة أخرى، يحد علماء علم اللاهوت النظامي من انتباههم للاعتبارات الواقعية، في حين تكون بعض الملامح الأخرى للنصوص الكتابية مُهملة بشكل كبير.

إن عملية تقليص تعاليم الكتاب المقدس إلى حقائقه مباشرة نسبياً، عندما تكون الفقرات الكتابية مُصممة بشكل أساسي لتؤكد الادعاءات الواقعية. في هذه الحالات، يلاحظ علماء علم اللاهوت النظامي الحقائق الواضحة والضمنية الموجودة في نص كتابي، ثم يركزون على تلك الحقائق الوثيقة الصلة بمناقشاتهم. لنأخذ رسالة تيموثاوس الثانية 3: 16 كمثال لفقرة تركز على الحقائق. حيث يقول بولس:

**كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحى بِهِ مِنْ اللَّهِ وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيحِ لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِيهِ
الْبِرُّ. (2 تيموثاوس 3: 16)**

يمكننا أن نقول، في السياق الأوسع، أن هذه الآية صُممت لتكون أكثر من مجرد قائمة من الحقائق عن الكتاب المقدس. لقد ربط بولس هذه الآية بالسياق السابق كدافع لتيموثاوس ليبيدي اهتماماً أكبر بالكتاب المقدس. وصُممت هذه الآية لتشجع وتحفز تيموثاوس ليجدد التزاماته بالكتاب المقدس على الأقل. لكن كان أحد الأبعاد البارزة لهذا التصميم المعقد، من أجل صنع عدد من التأكيدات اللاهوتية الواضحة. ويستخدم علماء علم اللاهوت النظامي هذه الفقرة على نطاق واسع لأنهم مهتمون بهذه الادعاءات اللاهوتية الواقعية.

يمكن تلخيص الحقائق الواضحة لهذه الفقرة في سلسلة من الافتراضات العامة والإيجابية؛ كل الكتاب هو موحى به من الله. كل الكتاب هو نافع للتعليم. كل الكتاب هو نافع للتوبيخ. كل الكتاب هو نافع للتقويم. كل الكتاب هو نافع للتأديب. وتعكس هذه الافتراضات الاعتبارات الواقعية التي تنقلها لنا هذه الآية بوضوح.

بالإضافة إلى هذه الادعاءات الواضحة، تستلزم هذه الآية، وبطريقة منطقية، عدداً من الادعاءات الضمنية التي يهتم بها علماء علم اللاهوت النظامي. على سبيل المثال، من العدل أن

نقول إن الله يرغب في توصيل إرادته. تلمح هذه الآية أيضاً إلى إن الاهتمام بالكتاب المقدس أمر حيوي للتقديس. ومع أن بولس تحدث عن أسفار العهد القديم بشكل محدد، إلا أنه يلمح إلى أن أسفار العهد الجديد موحى بها أيضاً ونافعة في هذه الطرق.

بعد وصف هذه الحقائق اللاهوتية الواضحة والضمنية، أصبح بإمكان علماء علم اللاهوت النظامي استخدام هذه الحقائق لشرح تعاملهم مع مختلف المواضيع اللاهوتية والدفاع عنها. وكما يمكنك أن تتخيل، غالباً ما تظهر هذه الآية في علم اللاهوت النظامي لدعم الادعاءات المتعلقة بعقيدة الكتاب المقدس.

على سبيل المثال، أشار روبرت ريموند في كتابه "علم اللاهوت النظامي" الفصل الثاني، إلى رسالة تيموثاوس الثانية 3: 16، ليدعم ادعائه بأن الكتاب المقدس معصوم عن الخطأ. حيث كتب:

يدعي كتبة الكتاب المقدس... بأن كلمة الله المكتوبة معصومة عن الخطأ، وهي الكلمة التي أعطاها الله إلى الجنس البشري من خلالهم بالوحي.

إن هذا النوع من العبارات هو الوسيلة النموذجية لاستخدام هذه الآية في علم اللاهوت النظامي. لكن الحقائق اللاهوتية الواضحة والضمنية التي تعلمها رسالة تيموثاوس الثانية 3: 16، تعالج مواضيع لاهوتية تقليدية أخرى. على سبيل المثال، قد يشير علماء علم اللاهوت النظامي إلى هذه الفقرة تحت مصطلح "اللاهوت الصحيح" كدليل على أن الله رحوم لأنه أعلن عن نفسه للجنس البشري. وقد استخدموها في عقيدة علم الكنيسة المسيحية، لكي يؤكدوا أن قراءة الكتاب المقدس والوعظ به هما وسيلتان للنعمة في الكنيسة. وقد يشيرون إلى هذه الفقرة تحت مصطلح علم الأمور الأخيرة ليثبتوا مصداقية النبوءة الكتابية. والاحتمالات لا حصر لها!

وبوجود فقرات كتابية مشابهة للافتراضات اللاهوتية، تصبح عملية تقليص الحقائق سهلة نسبياً. فعندما نقرأ في تكوين 1: 1 أن الله خلق كل الأشياء، فإن الاستنتاج بأن الله هو الخالق ليس صعباً. وعندما نقرأ في إشعياء 6: 3 أن السيرافيم صرخوا: "قدوس، قدوس، قدوس" في حضرة الرب، من السهل أن نستخلص أن الله قدوس. وعندما نقرأ في رومية 3: 28 أن التبرير هو بالإيمان بدون أعمال، فقد نُدرج هذه العبارة في مناقشتنا لعلم اللاهوت الخلاصي. ويصنع كثير من الفقرات في

الكتاب المقدس، حقائق يمكن إدراجها في علم اللاهوت النظامي بسهولة. وليس مستغرباً أن يستمد علماء علم اللاهوت النظامي افتراضاتهم من هذه الفقرات. لكن تصبح عملية تقليص الحقائق أكثر تعقيداً عندما لا تكون الفقرات الكتابية مشابهة لافتراضات اللاهوتية. نظرياً، يهتم علماء علم اللاهوت النظامي في هذه الحالات بملاحظة الملامح الأدبية لهذه الفقرات لكي يعينوا الحقائق التي تعلمها هذه الفقرات. ثم يستخدمون هذه الحقائق المرسومة في مناقشاتهم للاهوت. على سبيل المثال، يبدو سفر الأمثال في بعض الأحيان وكأنه افتراضات لاهوتية بسيطة، لكن الأمر ليس هكذا. انظر إلى أمثال 23: 13-14 حيث نقرأ هذه الكلمات:

لَا تَمْنَعِ التَّادِيْبَ عَنِ الْوَلَدِ لِأَنَّكَ إِنْ ضَرَبْتَهُ بَعْصاً لَا يَمُوتُ. تَضْرِبُهُ أَنْتَ بَعْصاً فَتُنْقِذُ نَفْسَهُ مِنَ الْهَآوِيَةِ. (أمثال 23: 13-14)

قد يبدو، للوهلة الأولى، أن هذا المثل يقدم لنا ادعاءين واقعيين. إنه يتكلم عن الولد الذي يُؤدَّب بأنه "لا يموت". كما أنه يقول أيضاً أن الأب الذي يؤدَّب ابنه "ينقذ نفس الابن من الهاوية". لكن في هذا النوع الأدبي من الأمثال، لا تكاد تكون عبارات كهذه افتراضات مباشرة. وسيرى المترجم الحذر أن هذه الآيات لا تقدم لنا ادعاءات مباشرة أو ضمانات عن فاعلية التأديب. بدلاً من هذا، تشجع هذه الآيات الآباء الحكماء على تأديب أولادهم لأن التأديب يميل إلى إعطاء نتائج إيجابية في حياة أولادهم. في الواقع، وكما تشير الأجزاء الأولى من هذه الآيات، كُتِبَ هذا المثل بشكل رئيسي كتوصية للآباء. يقول الحكيم: "لا تمنع التأديب عن الولد، اضربه". يُنصَح الآباء هنا بتأديب أولادهم.

بعد مناقشة هذه القضايا، أصبح بإمكان علماء علم اللاهوت النظامي تصنيف عدد من الحقائق الضمنية. على سبيل المثال، وتحت عقيدة علم الإنسان، بإمكان علماء علم اللاهوت النظامي استخدام هذه الفقرة كدليل على أن الأولاد خطأ. وتحت مصطلح التقديس، يمكنهم أن يستخدموها ليثبتوا أن تأديب الوالدين لأولادهم يهدف إلى النمو في القداسة.

ومما يثير الاهتمام، استخدم أحد اللاهوتيين النظاميين على الأقل هذه الفقرة فعلاً، لدعم وجهة نظر معينة في علم الأمور الأخيرة. استخدم لويس بيركهوف أمثال 23: 14، في الفصل

الثالث من الجزء السادس من كتابه "علم اللاهوت النظامي"، ليبيرز جانباً من عقيدة قيامة الأموات، حيث قال:

لا تنقصنا الأدلة على أنه كان هناك اعتقاد بالقيامة قبل السبي بفترة طويلة. إنَّ هذا الاعتقاد مذكور ضمناً في الفقرات التي تتحدث عن الإنقاذ من الهاوية.

استنتج بيركهوف أن الكلمات "تتقد نفسه من الهاوية" في أمثال 23: 14، تشير ضمناً إلى أن بني إسرائيل في العهد القديم آمنوا بالقيامة العامة من الأموات. ودعم بيركهوف، من خلال تقليص هام للحقائق، أحد جوانب علم الأمور الأخيرة من خلال فقرة تهدف بشكل رئيسي إلى تشجيع الآباء على تأديب أولادهم.

يمكن أن يؤدي التركيز على الحقائق في بعض الأحيان، إلى تقليصها بشكل كبير. على سبيل المثال، ستذكر أن علماء علم اللاهوت النظامي يميلون إلى التعبير عن الأشياء بطريقة مباشرة قدر الإمكان. وهكذا، إذا استخدمت فقرة نماذج الكلام، يميل علماء علم اللاهوت النظامي إلى تفسير ما تعنيه نماذج الكلام هذه ببساطة.

تأمل في تقليص الحقائق الدرامي الموجود في الفصل الثامن والأربعين من كتاب ميلارد إريكسون "اللاهوت المسيحي"، حيث ناقش كلمة الله على أنها وسيلة للنعمة. كما أنه ذكر سلسلة من الاستعارات والتشبيهات عن كلمة الله والتي ترد في مجموعة متنوعة من الفقرات الكتابية. حيث قال:

**هناك سلسلة غنية من الصور التي تصف طبيعة وعمل كلمة الله... المطرقة...
المرأة... البذرة... المطر والثلج... الحليب... اللحم القوي... الذهب والفضة...
المصباح... السيف... [و] النار.**

إن حقيقة استخدام إريكسون لهذه الصور، أمر غير اعتيادي بالنسبة لعلم اللاهوتي النظامي. لكن علينا أن نلاحظ أنه بدلاً من استكشاف التأثير الخيالي الغني لهذه الصور على القراء، لخصها إريكسون عن طريق تقليص الحقائق على شكل افتراضات بسيطة ومباشرة. وكما قال إريكسون:

تنقل هذه الصور وبشكل واضح فكرة أن كلمة الله قوية وقادرة على إنجاز أعمال عظيمة في حياة الفرد.

لا يمكنني تخيل معارضة أي شخص لتقييم إريكسون، لكن من الواضح أيضاً أن تقييمه هو نتيجة لتقليص كبير للحقائق، مُهمّشاً التأثير العظيم لهذه الصور لصالح مجرد ذكر حقيقة كانوا قد برهنوها.

وكما يمكنك أن تتخيل، تعمل عملية تقليص الحقائق بهذه الطريقة مع فقرات كثيرة. على سبيل المثال، يمكننا أن نستنتج من الوصية الأولى في خروج 20: 3 حيث يقول الله بالألمة أن آلهة أخرى أمامه، وبإِنَّ إله الكتاب المقدس يسمو على كل القوى فوق الطبيعية الأخرى. ويمكننا أن نستنتج من مزمو 105: 1، والذي يدعو لتقديم الحمد لله، وأن الله مستحق الحمد والتسبيح. وحتى عندما يكون هدف الفقرات الكتابية التأثير على القراء بطرق متعددة، فإن علماء علم اللاهوت النظامي يركزون على المحتوى الواقعي دائماً، ويفسرون هذه الحقائق على شكل افتراضات لاهوتية مباشرة.

يتغلب علماء علم اللاهوت النظامي على تحدي تنوع الأشكال الأدبية في الكتاب المقدس من خلال عملية تقليص الحقائق. لكنهم يتعاملون مع تحدي ترتيب عقائد الكتاب المقدس من خلال عملية يمكننا تسميتها "جمع الحقائق".

جمع الحقائق

وبسبب انتشار تعاليم الكتاب المقدس عن مواضيع محددة في كل أنحاء الكتاب المقدس، يتوجب على علماء علم اللاهوت النظامي مقارنة أو جمع الفقرات من كل أنحاء الكتاب المقدس عندما يشكلون افتراضاتهم. وكان مألوفاً أن نرى فقرات من سفر التكوين موضوعة جنباً إلى جنب مع فقرات من رسالة رومية، أو أن نرى أجزاء من المزمور إلى جانب آيات من رسالة يعقوب، أو مقاطع من إنجيل متى إلى جانب آيات من سفر الرؤيا. يتم جمع فقرات من أجزاء مختلفة من الكتاب المقدس وربطها مع بعضها البعض لأنها تعلم حقائق لاهوتية متعلقة ببعضها البعض.

إن عملية جمع الحقائق من أجزاء مختلفة من الكتاب المقدس ومقارنتها ببعضها البعض تتبع عدة نماذج مختلفة، لكن من أجل تبسيط الأمور سوف نتحدث عن طريقتين رئيسيتين تتم بموجبهما

هذه العملية. فمن ناحية أولى، يتم جمع ومقارنة بعض الفقرات لأنها تكرر الحقائق ذاتها. ومن ناحية ثانية، يتم جمع ومقارنة بعض الفقرات لأنها جميعاً تشكّل ادعاء لاهوتياً معقداً. دعونا نستعرض هاتين الطريقتين.

أولاً، غالباً ما يشكل علماء علم اللاهوت النظامي الافتراضات اللاهوتية بالاستنتاج من فقرات تكرر الفكرة الرئيسية ذاتها.

أنا نفكر بهذه الطريقة مرات عديدة في حياتنا اليومية. افترض أنك فقدت بعض المال. ماذا تفعل؟ قد تعدّ النقود في جيبك مرة. لكن إذا كنت لا تزال غير متأكد، فإنك قد تعدّها مراراً وتكراراً حتى تقتنع بأنك فقدت المال أو لم تفقده.

في الواقع وبطرق عديدة، هذا ما يفعله علماء علم اللاهوت النظامي عندما يجمعون الفقرات التي تكرر الحقائق اللاهوتية ويقارنوها. فقد يعتقدون أنهم فهموا فقرة ما بشكل صحيح، وأنهم شكلوا افتراضاً لاهوتياً حقيقياً من هذه الفقرة. ولذلك، فإنهم ينظرون في أجزاء عديدة من الكتاب المقدس ليروا إذا كان بإمكانهم اكتشاف الموضوع ذاته في تلك الأجزاء أيضاً.

لكن بسبب إدراك بيركهوف أن كثيراً من الناس أنكروا هذا الادعاء، لم يدعم وجهة نظريه هذه بفقرة واحدة فقط. بدلاً من ذلك، أشار بيركهوف إلى أن هذه الحقيقة اللاهوتية مؤكدة بوضوح في يوحنا 1: 1؛ يوحنا 20: 28؛ رومية 9: 5؛ فيلبي 2: 6؛ تيطس 2: 13؛ وفي رسالة يوحنا الأولى 5: 20. في هذه الحالة جمع بيركهوف آيات من خمسة أسفار مختلفة من العهد الجديد لأنها تكرر التعليم ذاته.

سمع معظمنا بالمبدأ القائل إنه يجب أن نسعى دائماً لدعم العقائد الرئيسية من خلال فقرات متعددة من الكتاب المقدس. إن سبب اتباع هذا المبدأ هو سهولة إساءة فهم مرجع كتابي واحد. إن إحدى الطرق التي نتأكد من خلالها أننا فهمنا ما تقوله فقرة ما بشكل صحيح هي بأن نبيّن أنّ الفكرة ذاتها مُعادة في أجزاء أخرى من الكتاب المقدس.

تحدثنا في دروس سابقة عن اليقين اللاهوتي باستخدام نموذج أطلقنا عليه "وعاء اليقين". وأشرنا إلى أن اللاهوتيين المسيحيين المسؤولين لا يهتموا بتحديد ما يؤمنوا به فحسب، إنما بتتسيق قوة قناعاتهم مع قوة الأدلة على هذه القناعات. وفي كثير من النواحي، هذا هو السبب الذي من أجله نجمع الآيات التي تكرر الحقيقة اللاهوتية ذاتها. عندما لا نتمكن من إيجاد دعم كتابي متكرر لافتراض ما، علينا أن نقلل من ثقافتنا بذلك الافتراض. لكن رؤية حقيقة ما تتكرر مرة تلو الأخرى في الكتاب المقدس، تُعتبر طريقة عادية نكتسب من خلالها ثقة أكبر.

مهما تكن أهمية جمع الحقائق المتكررة، فإن علماء علم اللاهوت النظامي يجمعون ويقارنون الفقرات الكتابية ليقدموا دعماً مركباً لافتراض لاهوتي ما. بعبارة أخرى، يجد علماء علم اللاهوت النظامي ادعاءات واقعية متعددة في أنحاء الكتاب المقدس، ويجمعونها ليشكّلوا تأكيدات لاهوتية أكبر ومتعددة الأوجه.

دعونا نوضح عملية جمع الحقائق المركبة بمثال من حياتنا اليومية. افترض أنني خارج من البيت ثم سمعت صوت الرعد فساورني الشك بأنها ستمطر. كيف يمكنني التأكد من صحة هذا الشك؟ في الواقع، إن إحدى الطرق هي بملاحظة الأشياء الأخرى التي تؤكد صحتها. عندما يصل صديقي وهو مبلل بالماء، أكون مقتنعاً بأنها تمطر. إذا أعطاني صديقي مظلتته المبللة، أكون مقتنعاً أكثر بأنها تمطر. وإذا قال صديقي "إنها تمطر بغزارة شديدة"، فسأكون مقتنعاً بشكل كامل أنني لن أخرج بدون مظلتي. إن هذه الملاحظات ليست متكررة. فأنا أسمع صوت الرعد؛ أرى صديقي مبللاً؛ ألمس مظلتته؛ وأحصل على تقرير واضح بأنها تمطر. يساهم كلٌّ من هذه الأدلة بشيء مختلف، لكن جميعها يؤلف دليلاً يُقنعني بأن شكوكي حقيقية.

يتبع علماء علم اللاهوت النظامي، في عدة طرق، نموذجاً مشابهاً في جمع الحقائق المركبة. فهم يلاحظون أن فقرة ما تعلم أمراً. ويلاحظون أن أمراً آخر ذو صلة بالأول مذكور في فقرة أخرى. ويجدون فقرات أخرى تعلم أفكار أخرى ذات صلة. ثم يجمعون كل هذه المعلومات ليؤلفوا افتراضاً لاهوتياً مؤلفاً من كل هذه الحقائق اللاهوتية.

وحتى نرى كيف تتم هذه العملية، دعونا نعود إلى مناقشة بيركهوف عن ألوهية المسيح في الفصل الثامن من الجزء الأول من كتابه "علم اللاهوت النظامي". لقد رأينا أن بيركهوف أشار إلى تكرار الادعاءات الواضحة بأن المسيح إله عندما قال إن الكتاب المقدس يؤكد ألوهية الابن بشكل واضح. لكن افتراضه اللاهوتي بأن المسيح هو إله كامل، مدعوم أيضاً بجمع الحقائق المركبة للادعاءات المرتبطة بهذه الحقائق والمختلفة عنها، والتي كان بيركهوف قد اكتشفها من أجزاء كثيرة من الكتاب المقدس. حيث تابع قائلاً:

يطبق الكتاب المقدس الأسماء الإلهية على المسيح، ينسب له الصفات الإلهية، يقول إنه يعمل أعمالاً إلهية ويمنحه الإكرام الإلهي.

لم يكن استنتاج بيركهوف بأن المسيح هو الله مبني على أي من هذه الادعاءات بمفرده، بل على مجموع كل هذه الادعاءات اللاهوتية.

ليس من الصعب أن نفهم لماذا فعل بيركهوف هذا. فقد تحدى العديد من مفسري الكتاب المقدس الاعتقاد بأن المسيح هو إله. ولذلك لم يكن كافياً أن يبين أن بعض الآيات تؤكد ألوهيته بشكل واضح. وأراد بيركهوف أن يؤكد أنه فهم هذه الآيات بشكل صحيح بإضافة دعم اعتبارات أخرى. إن حقيقة أن الكتاب المقدس يطبق الأسماء الإلهية على المسيح؛ ينسب له الصفات الإلهية مثل كلي الوجود وكلي المعرفة؛ يتحدث عنه على أنه يعمل أعمالاً يعملها الله مثل خلق وإدارة كل الأشياء؛ وأنه يعطيه الإكرام الذي يليق بالله فقط مثل العبادة والصلاة. وتجتمع هذه الحقائق الكتابية معاً لتؤلف دليلاً مقنعاً بأن بيركهوف شكل افتراضاً لاهوتياً يقول بأن المسيح هو إله.

ولهذا، يشكل علماء علم اللاهوت النظامي افتراضات لاهوتية من الكتاب المقدس أولاً بالحد من التركيز على الحقائق التي تؤكد الفقرات الكتابية. وثانياً، بجمع ومقارنة فقرات من أجزاء متعددة من الكتاب المقدس. ويستطيع علماء علم اللاهوت النظامي، من خلال هذه الوسائل، أن يكونوا على ثقة بأنهم شكّلوا افتراضات لاهوتية تتطابق مع الكتاب المقدس.

بعد أن أصبح لدينا توجهاً عاماً للافتراضات اللاهوتية ورأينا كيف يشكل علماء علم اللاهوت النظامي هذه الافتراضات، نحن مستعدون للانتقال إلى موضوعنا الرئيسي الثالث: قيم وأخطار الافتراضات اللاهوتية في علم اللاهوت النظامي.

القيم والأخطار

في أثناء استكشافنا لهذه القضية، سوف نتبع نموذج الدروس السابقة في هذه السلسلة، وذلك بالتطرق إلى تأثير الافتراضات على المصادر الرئيسية الثلاثة لبناء اللاهوت المسيحي. سنتذكر أن على المسيحيين أن يبنوا اللاهوت من إعلان الله الخاص والعام. إننا نكتسب فهماً للإعلان الخاص بشكل رئيسي من خلال التفسير النصي للكتاب المقدس، ونستفيد من الأبعاد الهامة للإعلان العام بالتركيز على التفاعل في المجتمع، التعلّم من الآخرين وخاصة المسيحيين الآخرين، وبالتركيز على الحياة المسيحية، أي خبراتنا في الحياة من أجل المسيح. ولأن هذه المصادر حاسمة، سوف نكتشف قيم وأخطار الافتراضات اللاهوتية بالنسبة لعلاقتها مع كلٍ منها. أولاً سوف ننظر إلى علاقة الافتراضات بالحياة المسيحية؛ ثانياً، سوف

نكتشف علاقة الافتراضات بالتفاعل في المجتمع؛ وثالثاً، سوف نحقق علاقة الافتراضات بالتفسير النصي للكتاب المقدس. دعونا ننظر أولاً إلى المصدر اللاهوتي وهو الحياة المسيحية.

الحياة المسيحية

تتلخص الحياة المسيحية بعملية التقديس الشخصي، ورأينا في دروس سابقة أن التقديس الشخصي يحدث على كل من المستويات الفكري، السلوكي والعاطفي. أو كما وصفناه: على مستويات الأرثوذكسية، الأورثوإيركسية، والأورثوإيوسية. لن يسمح الوقت بمناقشة كل الطرق التي تؤثر الافتراضات من خلالها على هذه الجوانب المتعددة للتقديس. ولذلك، سوف نكتفي بطريقة رئيسية واحدة يمكن للافتراضات من خلالها أن تعزز الحياة المسيحية وطريقة أخرى تعيقها. دعونا ننظر أولاً إلى طريقة واحدة يمكن الافتراضات من خلالها أن تعزز محاولتنا للحياة من أجل المسيح.

التعزيز

إن إحدى أعظم حسنات الافتراضات اللاهوتية، أنها تعبر بوضوح وباختصار عن عدة جوانب حاسمة لإيماننا. ولا يستطيع معظم المسيحيين، في أيامنا هذه، أن يعبروا عما يؤمنون به بدقة كبيرة. ولأننا لا نستطيع تقديم ملخصات سليمة لمعتقداتنا، فإننا نجد صعوبة في الحياة من أجل المسيح في حياتنا اليومية.

أتذكر مرةً تحدثت فيها مع امرأة شابة لم تعرف كيف تتخذ قراراً بشأن كنيسة. لم تشعر بالارتياح مع تساهل كنيسة مع بعض أنماط الحياة غير الأخلاقية لبعض أعضائها، لكنها لم تشأ ترك الكنيسة. فأنت إلي وقالت: "لا أعرف ماذا أفعل. أنا أستفيد كثيراً من الوعظ لدرجة أنني لا أود التوقف عن الذهاب إلى كنيسة. كيف يمكنني اتخاذ القرار؟" فسألتها: "ما هي علامات الكنيسة الحقيقية برأيك؟" فنظرت إليّ بطريقة خالية من التعبير وقالت: "لا أعرف".

فتابعت حديثي قائلاً: "لا أعتقد أنك ستتمكنين من اتخاذ قرار حول ما يجب فعله بالنسبة لكنيسة حتى نُصممي ما تعتقدين أنه يميز الكنيسة الحقيقية". ومن ثم قلت لها: "يُعلم اللاهوت البروتستانتي أن هناك ثلاث علامات للكنيسة الحقيقية. وهي الوعظ الأمين بكلمة الله، الممارسة

الأمينة للأسرار المقدسة، والممارسة الأمينة للتأديب الكنسي". وأتذكر أنها قالت: "أتمنى لو أن أحداً أخبرني بكل هذه المعلومات. فأنا لم أكن أعلم ما يجب فعله".

لا يرغب المسيحيون، في العالم الحديث، في قضاء الوقت لتعلم أهم الأساسيات اللاهوتية المسيحية. وهكذا فإنهم يستبدلون الافتراضات اللاهوتية المُشكَّلة بطريقة جيدة، بالمشاعر أو الآراء الجاهلة. لكن النتيجة هي نفسها في معظم الأحيان: عندما يتوجب علينا صنع قرارات هامة أو نواجه اختيارات أخلاقية يومية، فإننا لا نعرف ما يجب فعله لأننا غير قادرين على التعبير بوضوح عن الافتراضات اللاهوتية المُشكَّلة بطريقة جيدة. لقد أعطانا علم اللاهوت النظامي التقليدي الكثير من الافتراضات التي تتطابق مع الكتاب المقدس. ويُعتبر تعلم هذه الافتراضات من أكثر الأمور فائدة والتي يمكن للمسيحيين أن يقوموا بها بينما يسعون للحياة من أجل المسيح.

وبقدر ما تكون معرفة الافتراضات اللاهوتية التقليدية عاملاً إيجابياً، إلا أن المغالاة في التركيز أو الاعتماد عليها بشكل كبير، يمكن أن يعيق الحياة المسيحية.

المعوقات

إن هذا صحيح عندما يعتقد المسيحيون الذين يدرسون علم اللاهوت النظامي، أن كل ما يحتاجون إليه لصنع قرارات عملية في الحياة المسيحية هو مجموعة واسعة من الافتراضات اللاهوتية.

كما رأينا سابقاً، يمكن أن تكون الافتراضات اللاهوتية مفيدة جداً. لكن في الوقت ذاته، علينا أن نتذكر دائماً أن هناك فجوة بين الافتراضات المعيارية للاهوت والاختيارات التي ينبغي علينا كمسيحيين أن نصنعها. وإما أن تكون الافتراضات اللاهوتية مجردة نموذجياً أو تتعلق بأمر غير تلك التي نواجهها. ولذا، فهي لا تعالج تفاصيل الحالات التي نواجهها. وكنتيجة لذلك، لا يمكنها تقديم الإرشاد الكافي للقرارات العملية التي ينبغي أن نصنعها.

للأسف، لا يدرك المؤمنون الذين يهتمون بالافتراضات بشكل مفرط، حجم هذه الفجوة. إنهم يُفنعون أنفسهم أن كل ما عليهم فعله، هو التفكير بمجموعة من الافتراضات بشكل منطقي، ومن ثم ستتحلّ الأمور بشكل كامل.

لكن في الواقع، في كل قرار نتخذه كمسيحيين، علينا الاعتماد ليس على المعادلات اللاهوتية فحسب، وإنما على أمور مثل تفاصيل وضعنا والخدمة الشخصية للروح القدس. علينا أن نستخدم جوانب الإعلان العام هذه لسد الفجوة بين المبادئ اللاهوتية وقرارات الحياة الحقيقية. دعونا نرجع إلى مثال المرأة الشابة التي كانت تفكر بترك كنيسة. حالما سمعت عن العلامات الثلاث للكنيسة: الوعظ الأمين، الممارسة الآمنة للأسرار المقدسة، والممارسة الآمنة للتأديب الكنسي، صممت أن تترك كنيسة سرياً.

لكني حذرتها على الفور قائلاً: "انتظري قليلاً. عليك أن تدركي شيئاً. لا تمتلك أي كنيسة في العالم هذه العلامات الثلاث بشكل كامل. عليك أن تتظري إلى كنيسة بدقة وتحكمي مدى سوء الأمور. وأكثر من هذا، عليك أن تصرفي وقتاً في الصلاة، وتطلبي قيادة الروح القدس حتى تتمكني من اتخاذ حكم ثابت. وعندها يُمكنك ترك الكنيسة بضمير مرتاح".

باختصار، لقد قلت لتلك المرأة الشابة إنه بالرغم من أهمية الافتراضات اللاهوتية بالنسبة لحالتها، فإن الاعتماد على الافتراضات اللاهوتية فقط، قد يعيق حياتها المسيحية فعلاً. وقبل اتخاذ القرار، عليها أن تلجأ إلى الإعلان العام. عليها أن تفهم حالتها بشكل جيد وأن تُخضع نفسها للخدمة الشخصية للروح القدس.

بالإضافة إلى فهم كيف يمكن للافتراضات اللاهوتية أن تأتي بالحسنات والسيئات إلى الحياة المسيحية، علينا أن نكون مدركين لتأثيرها على تفاعلنا في المجتمع.

التفاعلات في المجتمع

يساعدنا التفاعل في المجتمع في التركيز على أهمية جسد المسيح في حياتنا. وقد تحدثنا في هذه الدروس عن ثلاثة أبعاد هامة للتفاعل ضمن المجتمع المسيحي: التراث المسيحي أي شهادة عمل الروح القدس في الكنيسة في الماضي، المجتمع المسيحي الحاضر أي شهادة عمل الروح القدس في المسيحيين الذين يعيشون اليوم، والأحكام الخاصة أي شهادة عمل الروح القدس في استنتاجاتنا وقناعاتنا الشخصية. وتتفاعل أبعاد المجتمع هذه مع بعضها البعض بطرق لا تُحصى.

سنذكر باختصار فقط اثنتين من الأفكار حول الطرق التي تعزز الافتراضات اللاهوتية من خلالها وتعيق هذه العناصر للتفاعل في المجتمع. دعونا ننظر أولاً إلى إحدى الطرق الهامة التي يمكن أن تعزز الافتراضات اللاهوتية من خلالها التفاعل في المجتمع.

التعزيزات

للأسف، ينتقل العديد من المسيحيين الإنجيليين في يومنا هذا من كنيسة إلى أخرى، ومن واعظ أو معلم إلى آخر، مع قليل من القدرة على تحديد كيف يمكنهم أن يتفاعلوا مع هذه الكنائس وهؤلاء الوعاظ. فنحن لا نعرف من نتبع. ولا يمكننا تمييز إيجابيات وسلبيات الكنيسة. وينبع نقص التمييز هذا بشكل عام من إهمال الادعاءات الواقعية الأساسية للإيمان المسيحي. ويُعتبر إدراك الافتراضات اللاهوتية الأساسية في علم اللاهوت النظامي، من أفضل الطرق لنصبح أتباعاً للمسيح وقادرين على التمييز.

إن إحدى الطرق العملية للاستفادة من الافتراضات اللاهوتية الجيدة، هي بالاطلاع على بعض تعاليم كتاب تعليم أصول الدين عن طريق السؤال والجواب البروتستانتية. حيث تقدم كتب أصول الدين، مثل أصول الإيمان في هايدلبرغ، أو أصول الإيمان الوستمنستري الأقصر، افتراضات لاهوتية قصيرة سهلة التعلم. وبوجود هذه الآراء اللاهوتية، يمكن لأتباع المسيح أن يصبحوا أكثر تمييزاً.

على سبيل المثال، إذا أراد شخص أن يناقش هدف الحياة، فإن معرفة السؤال الأول والإجابة عنه في أصول الإيمان الوستمنستري الأقصر مفيدة للغاية. استمع إلى الطريقة التي يلخص بها أصول الإيمان الوستمنستري الأقصر مقداراً كبيراً من التعاليم الكتابية في جملة بسيطة واحدة. وللإجابة عن السؤال:

ما هي غاية الإنسان العظمى؟

يقول أصول الإيمان الوستمنستري الأقصر:

إن غاية الإنسان العظمى هي أن يمجّد الله وأن يتمتع به إلى الأبد.

افتراض أن شخصاً ما أتى بنظرة جديدة حول كيف يمكن للمسيحيين أن يتمتعوا بالراحة في الحياة، ستكون عندها معرفة السؤال الأول في أصول الإيمان في هايدلبرغ والإجابة عنه مفيدة جداً. والسؤال الأول هو:

ما هي الراحة الوحيدة التي تتمتع بها في الحياة وفي الموت؟

ويجب أصول الإيمان هكذا:

أنا لست مُلكاً لنفسي، لكنني أنتمي، جسداً وروحاً، في الحياة والموت، لمخلصي الأمين يسوع المسيح. لقد دفع عني عقاب خطاياي كاملاً بدمه الثمين، وحررتني من عبودية إبليس. وهو يحرسني لدرجة أن شعرة واحدة من رأسي لن تقع بدون إرادة أبي الذي في السماء؛ في الواقع، يجب أن تعمل كل الأشياء معاً من أجل خلاصي. ولأنني مُلك للمسيح، فإنه يؤكد لي حصولي على الحياة الأبدية من خلال روحه القدس، ويجعلني مستعداً وراغباً، من كل قلبي، أن أعيش له من الآن فصاعداً.

إن تعلم وجهات نظر لاهوتية قوية مثل هذه، يؤهلنا لتكون أكثر تمييزاً عندما نتفاعل مع المسيحيين الآخرين. ويعززون بهذه الطريقة تفاعلنا في المجتمع بشكل كبير. في الوقت ذاته، رغم أن فهم الافتراضات اللاهوتية الجيدة يمكن أن يعزز التفاعل بجعلنا قادرين على التمييز، لكن يمكن أن يعيق التركيز على الافتراضات اللاهوتية من التفاعل بين المسيحيين أيضاً.

المعوقات

يتمسك المسيحيون، في بعض الأحيان، بمجموعة من الافتراضات لدرجة أنه يصعب عليهم التفاعل بشكل إيجابي مع المؤمنين الآخرين الذين لا يعبرون عن الأشياء بالطريقة ذاتها. هناك مشكلة مرتبطة بالافتراضات والتي غالباً ما ننساها: إن معظمها غير مقتبس من الكتاب المقدس، إنما نتاج التفسير البشري. إنها تحاول تلخيص التعاليم الكتابية بأكثر دقة ممكنة. لكن كما رأينا في هذا الدرس، إنها تنتج عن عمليات معقدة جداً أحياناً. حتى أفضل الافتراضات اللاهوتية محدودة في نطاقها. وتحتوي جميعها على نقائص بطريقة أو بأخرى. بالنتيجة، عندما نتعلم

المزيد عن الافتراضات اللاهوتية في علم اللاهوت النظامي، علينا أن نخفف من تمسكنا بها بمعرفة أنه ليس موحاً بها، أنها ليست معصومة عن الخطأ، وأن سلطانها ليس عظيماً كسلطان الكتاب المقدس.

أتذكر مرةً تحدثت فيها مع صديق قال لي أن ليس لديه أصدقاء مؤمنين. وكان يتذمر من شعوره بالوحدة. فسألته عما إذا كان لديه شركة مع أحد ما. فأجابني: "لا أستطيع العثور على أي شخص يتفق معي فيما أؤمن به، ولهذا ليس لدي شركة مع الآخرين". فأجبت بهذه الطريقة: "هل تعني أنه لا يمكنك إيجاد أي شخص يؤمن بالمسيح؟" فأجابني: "أنا لا أعني هذا، إنما لا يمكنني إيجاد أي شخص يتفق معي في الرأي في كل شيء". لقد كنت منزعجاً من هذا الصديق لأنه كان ينبغي عليه أن يعرف أن المسيحيين لا يتفقوا أبداً على كل التفاصيل المتعلقة باللاهوت.

لكن للأسف، كانت أولويات صديقي هذا مخيفة، فقد ركّز على الافتراضات اللاهوتية بشكل كبير، لدرجة أنها أعاققت قدرته على الشركة مع الآخرين بشكل كامل. لقد عانت قضية المسيح في القرون الماضية من الضرر الهائل، عندما سمح المسيحيون للالتزامات اللاهوتية أن تعيق تفاعلاتهم مع المسيحيين الآخرين. فعندما نُصمم على أن يتفق الآخرون مع معتقداتنا حول هذا الجانب المبهم من القضية اللاهوتية أو ذلك، فإننا نبتعد عن إرشادات الكتاب المقدس بشكل كبير.

فكر، في هذا السياق بكلمات الرسول بولس في رسالة كورنثوس الأولى 8: 4-12. حيث

نقرأ هذه الكلمات عن التزاماتنا اللاهوتية:

نَعْلَمُ أَنْ لَيْسَ وَثَنٌ فِي الْعَالَمِ... وَلَكِنْ لَيْسَ الْعِلْمُ فِي الْجَمِيعِ. بَلْ أَنَا سٌ بِالضَّمِيرِ
نَحْوِ الْوَثَنِ إِلَى الْآنَ يَأْكُلُونَ... فَضْمِيرُهُمْ إِذْ هُوَ ضَعِيفٌ يَتَنَجَّسُ... لِأَنَّهُ إِنْ رَأَى
أَحَدٌ يَا مَنْ لَهُ عِلْمٌ مُتَّكِنًا فِي هَيْكَلٍ وَثَنٍ أَفْلاً يَتَقَوَّى ضَمِيرُهُ إِذْ هُوَ ضَعِيفٌ حَتَّى
يَأْكُلَ مَا دُبِحَ لِلْأَوْثَانِ... وَهَكَذَا إِذْ تُخْطِئُونَ إِلَى الْإِخْوَةِ... تُخْطِئُونَ إِلَى الْمَسِيحِ.

1 كورنثوس 8: 4-12.

حتّى بولس المؤمنين الذين يملكون المعرفة، على محبة وخدمة أولئك الذين لا يمتلكون تلك المعرفة. حتى أنه حثهم على الحد من السلوك بموجب معرفتهم، كي لا يسببوا العثرة للآخرين. وبدلاً من تشجيع الانقاسات ومشاعر التفوق، أصرّ بولس على أن يجد الأشخاص الذين يمتلكون اللاهوت الجيد، طرّقاً للشركة مع أولئك الذين يمتلكون لاهوتاً ضعيفاً حول القضايا غير الأساسية.

باختصار، علّمهم بولس أن الشركة هي أكثر أهمية من الدقة بالنسبة للافتراضات اللاهوتية غير الأساسية. لقد حان الوقت حتى نتعلم كلنا كيف نعمل مع المسيحيين الذين لا يتفقون معنا في الرأي بالنسبة لكل التفاصيل.

بعد أن رأينا بعض الطرق التي ترتبط فيها الافتراضات اللاهوتية بالحياة المسيحية وبالتفاعل في المجتمع، علينا أن ننقل إلى المصدر اللاهوتي الرئيسي الثالث: التفسير النصي للكتاب المقدس. كيف تؤثر الافتراضات اللاهوتية في علم اللاهوت النظامي على تفسيرنا للكتاب المقدس؟

التفسير النصي للكتاب المقدس

إن التفسير النصي للكتاب المقدس عامل أساسي لبناء اللاهوت المسيحي، لأنه الوسيلة الأكثر مباشرة للحصول على إعلان الله الخاص في الكتاب المقدس. لقد ذكرنا في درس سابق أنه من المفيد أن نفكر بثلاث طرق قاد بها الروح القدس الكنيسة لتفسر الكتاب المقدس. وقد دعونا هذه التصنيفات الواسعة: التحليل الأدبي، التحليل التاريخي، والتحليل الموضوعي. ينظر التحليل الأدبي إلى الكتاب المقدس على أنه صورة، أو عرض فني صمّمه كُتّاب بشر ليؤثروا على جمهورهم الأصلي من خلال ملامحهم الأدبية المميّزة. بينما ينظر التحليل التاريخي إلى الكتاب المقدس كنافذة تطل على التاريخ، أي كطريقة للنظر والتعلم من الأحداث التاريخية القديمة التي يذكرها الكتاب المقدس. ويتعامل التحليل الموضوعي مع الكتاب المقدس كمرآة، أي كطريقة للتعبير عن الأسئلة والمواضيع التي تهمننا.

بعد أن بحثنا في جوانب التفسير النصي للكتاب المقدس، علينا أن نبحث في الطرق التي يمكن أن تعزز بها الافتراضات اللاهوتية وتعيق تفسيرنا للكتاب المقدس.

التعزيزات

إن إحدى الطرق الأكثر وضوحاً والتي تساعدنا بها الافتراضات في التفسير النصي للكتاب المقدس، هي أنها توضح الادعاءات اللاهوتية المنتشرة في كل الكتاب المقدس. إذا كان هناك شيء واحد صحيح، فهو أن الكتاب المقدس كتابٌ معقد. إنّ أساليبه الأدبية، مراجعه التاريخية، وتعاليمه اللاهوتية واسعة لدرجة أنّ كثيراً من المسيحيين غير قادرين على رؤية

الكثير من الترابط في الكتاب المقدس. ونتيجة لذلك، يكتفي الكثير منا ببحث ودراسة أجزاء صغيرة فقط من الكتاب المقدس لتتعلم بعض المبادئ من هذه الفقرة أو تلك. ولكن حالما نبدأ بتوسيع إدراكنا للكتاب المقدس، نجد أنفسنا مُصابين بالالتباس.

وفي وسط هذا الالتباس، تأتي مساعدة قرون من التفسير الأمين والذي تمثله الافتراضات اللاهوتية في علم اللاهوت النظامي. فقد بحث المسيحيون ذوو المعرفة، على مدى القرون، في الكتاب المقدس لإيجاد الادعاءات اللاهوتية المذكورة فيه. وتساعدنا معرفة ملخصات تعاليم الكتاب المقدس هذه، في تقديم إرشادات مفيدة بينما نسلك في المسارات المتعددة الموجودة في الكتاب المقدس.

كثيراً ما أوصي الطلاب بأن إحدى الطرق المفيدة لمعرفة تعليم أية فقرة كتابية، هي بالبحث عن الطرق التي تتناول بها هذه الفقرة المواضيع اللاهوتية التي تظهر في علم اللاهوت النظامي. وقد لا يذكر كل جزء من الكتاب المقدس شيئاً ما عن كل افتراض لاهوتي، لكن غالباً ما تساعدنا قراءة مقطوعة ما، مع إبقاء الافتراضات اللاهوتية الأساسية في عقولنا، في تقديم توجه نحو تلك المقطوعة.

قد نسأل على سبيل المثال: "ماذا يعلم الإصحاح الأول من سفر التكوين عن الله الذي يركز عليه علماء علم اللاهوت النظامي؟" يعلم هذا الإصحاح، من ضمن عدة أمور، أن الله هو خالق الكون. وماذا يقول عن الكائنات البشرية التي يركز عليها علم اللاهوت النظامي؟ في الواقع، يعلمنا بأننا مخلوقات، خُلقنا على صورة الله، وأنَّ الله أوصانا أن نُخضع الأرض. إن تعلم كيف تتناول فقرات محددة من الادعاءات الواقعية لعلم اللاهوت النظامي، هو أعظم الطرق التي يقدمها علم اللاهوت النظامي في تعزيز التفسير النصي للكتاب المقدس.

ومهما تكن قيمة الافتراضات بالنسبة للتفسير النصي للكتاب المقدس، علينا أن نكون مدركين بإحدى أهم الطرق التي يمكن أن تعيق بها الافتراضات تفسيرنا للكتاب المقدس.

المعوقات

سبق وتحدثنا عن الطرق التي يفسر بواسطتها علماء علم اللاهوت النظامي الكتاب المقدس من خلال تقليص الحقائق، أي كيف يركزون على الادعاءات الواقعية الواضحة والضمنية للفقرات الكتابية ويهمشون أموراً أخرى يقدمها لنا الكتاب المقدس.

لكن الحقيقة هي أنّ الله أوحى بالكتاب المقدس ليؤثر فينا على مستويات مختلفة، وذلك لأننا بحاجة لإرشاده في كل هذه الطرق. وهكذا، عندما نسلط الضوء على الادعاءات الواقعية فقط، فإننا نعزل أنفسنا عن أمور كثيرة يقدمها الله لنا في الكتاب المقدس.

يمكننا أن نتحدث عن التأثيرات المتنوعة التي كان ينبغي أن تكون للكتاب المقدس بعدة طرق مختلفة. لكن إحدى الأساليب المفيدة هي أن نتحدث عن ثلاثة أبعاد مترابطة من كل النصوص الكتابية.

أولاً، إن لفقرات الكتابية تأثير إعلامي، أي أنها تنقل حقائق واضحة وضمنية علينا أن نعرفها ونؤمن بها. وهذه هي قوة علم اللاهوت النظامي. إن هدفه هو عزل الحقائق وجمعها في صيغة افتراضات لاهوتية.

لكن في الوقت ذاته، إن لفقرات الكتابية تأثير توجيهي، أي أنها تعطينا توجيهات أخلاقية واضحة وضمنية لحياتنا. ويظهر هذا بوضوح كبير، عندما نطلع على الفقرات التي تأتي في صيغة أوامر. لكن حتى الفقرات المصممة بشكل رئيسي لتقديم المعلومات، تتضمن أيضاً مسؤوليات أخلاقية. وقد بيّن بولس هذه النقطة بوضوح في رسالة تيموثاوس الثانية 3: 16-17. اصغ إلى كلماته مرة ثانية:

**كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحَىٰ بِهِ مِنَ اللَّهِ وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِيهِ
الْبِرُّ لِكَيْ يَكُونَ إِنْسَانُ اللَّهِ كَامِلًا مُتَأَهِّبًا لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ. 2 تيموثاوس الثانية 3:
16-17.**

بالنسبة لبولس، كل فقرة كتابية مصممة ليكون لها مقدار من التأثير التوجيهي. ثالثاً، إن لفقرات الكتابية تأثير عاطفي أيضاً، أي أنها تستهدف عواطف القراء بشكل واضح أو ضمني. وتظهر وظيفة الكتاب المقدس هذه بكل وضوح، عندما نقرأ نصوصاً مُفعمة بالعواطف مثل المزمير، أو فقرات أخرى يشدّد فيها كتابة الكتاب المقدس على العواطف. لكن لدى كل فقرة كتابية القدرة على التأثير فينا عاطفياً. تأمل في متى 22: 37-40، حيث لخص يسوع العهد القديم بالطريقة التالية:

تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكَرِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ
الْأُولَى وَالْعَظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا. تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ
النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالْأَنْبِيَاءُ. (متى 22: 37-40)

إن المحبة في الكتاب المقدس مفهوم عاطفي جداً. وهي عامل أساسي جداً في إيماننا بالنسبة ليسوع. ويدعونا كتابة الكتاب المقدس لاختبار كل أنواع المشاعر المقدسة. حيث يتوقعون أن يكون لدينا الدافع لنكره الخطية وعواقبها. ويتوقعون منا أن نبكي ونفرح وأن نختبر جميع المشاعر الإنسانية المناسبة تجاوباً مع ما نراه في صفحات الكتاب المقدس.

إن هذا التصميم المتعدد الأوجه للكتاب المقدس هو السبب في لماذا ينبغي علينا ألا نقيد أنفسنا في البحث عن الافتراضات اللاهوتية في الكتاب المقدس. مهم أن نتأكد من صحة الحقائق. كما أنه مهم أن نتأكد من صحة مشاعرنا وأخلاقياتها أيضاً.

ورغم أن التفسير النصي للكتاب المقدس يكشف لنا الحقائق الغنية فيه. لكن يجب أن يكون التفسير المتأني للكتاب المقدس شاملاً ليكشف كل ما يقدمه لنا الكتاب المقدس.

وهكذا، صحيح أن الافتراضات في علم اللاهوت النظامي تعطينا العديد من القيم والأخطار. وبإمكانها أن تعزز الحياة المسيحية، التفاعل في المجتمع، والتفسير النصي للكتاب المقدس بطرق عديدة. لكنها قادرة أيضاً على إعاقة إمكانية حصولنا على هذه المصادر اللاهوتية الرئيسية الثلاثة.

الخاتمة

لقد استكشفنا في هذا الدرس الافتراضات وعلم اللاهوت النظامي. واكتسبنا فهماً أساسياً عن ماهيتها وسبب أهميتها. كما أننا رأينا كيف يتم تشكيل الافتراضات في علم اللاهوت النظامي. واستكشفنا بعض القيم والأخطار التي تقدمها هذه الافتراضات.

يُعتبر تشكيل الافتراضات اللاهوتية عامل أساسي في عملية بناء علم اللاهوت النظامي. فعلينا أن نعرف كيف نعبر عن حقائق الإيمان المسيحي وندافع عنها. ولهذا السبب، كانت الافتراضات اللاهوتية أمراً حاسماً في بناء علم اللاهوت النظامي على مدى القرون وهي ما تزال أساسية في بناء علم اللاهوت النظامي السليم اليوم.